

## العلم للعامة

من مفاخر القرن العشرين

ينظر القرن العشرون الى تقدم العلوم معجبا بما اوتيته من الفرائب والعجائب في اختراع قوى الاثير والهواء والارض والماء والكهربائية واستخدامها كلها لمنفعة الانسان وتخفيف مشاقه وانابه. على ان هنالك مظهرا هين مظاهر تقدم العلم واتساع نطاقه فلما نرى له ذكرا في مفاخر هذا القرن وهذا المظهر هو لسرى اعظم المظاهر شأنا وابدها اثرأ وهو اول البراهين على تقدم العلم واجلاها. الا وهو نزول العلم عن عرشه لرفع مقام العامة وانها هم بعض غوامضه

فالعلم الذي كان في القرون السالفة مملكة محصورة ضمن حدود دقيقة لا يدخلها الا افراد قلائل ويحظر على غيرهم الاقتراب منها هي الآن مشاع للكل لا تحصرها شريعة مونرو ولا تسع المهاجرة اليها ولا خطر احفر فيها فتكون ميدان جدل بين الشرق والغرب ولا مسألة شرقية معقدة تكتنفها لتكون مشكلة من مشاكل السياسة. بل لها الآن شروط وقوانين حق لمن انما ان ينضم الى رجال العلم ويحمل لواء هذه المنك وللحال تلك الحصون والحواجز بينه وبين من هم على شاكلته من ابناء الامم الاخرى وبناتها

وما هذا بالمظهر الوحيد لما اريد بل نجد في هذا القرن علاقة حيوية بين العلم والسامة فالعلم القديم الذي كان يرى العلم ياتع في اوليات فلسفية عن تعريف الفضيلة والمعرفة وكان لا يجد لنفسه مقرا الا في الصوامع وكانت افضل علامات علمه تنكس وزهده نراه اليوم يسمل بين العامة ومعهم وهم كان الناس قبالا ينظرون اليه مشعوذا ساحرا اما الآن فيرون فيه صيدليا قانونيا وكياويا خيرا يسعون اليه لتركيب الادوية او لاستشارته في امور صناعتهم وزراعتهم. ومن كانوا يرون فيه جنبا وشيطانا ينظرون اليه الآن مسجيين باوتومويته وفونوغرافه وتلفونه وتغرافه ورو الى آخر ما هنالك من المكتشفات البخارية والكهربائية. والنتيجة مزدوجة الفائدة وهي تحرير العامة من خوفهم منه والاتقاع بمنتجات عقله وتجاريه

ثم بفضل رجال العلم الاقذاذ تفاهم العلم مع العامة تفاهما جزئيا فانتسخت

من تصورات الناس معتقدات وخرافات كانت سبباً لضعف قواهم المعنوية. نتجد اليوم في كل بلدٍ قرأ من الناس لا يلجأون الى صفائح الحديد والصلب والدفوف خائفين مستعوزين عند خسوف القمر بل يعرفون الاسباب الطبيعية التي تسببها. ووجود هذا التفريط في تحويل الباقين وتعليمهم

وقلما نجد اليوم مقاطعة خالية من افراد يعرفون القليل عن الكهرباء او اسماء النجوم او مبادئ الكيمياء او قواعد علم الصحة او اصول مساعدة الجرحى المساعدة الاولية او تطيب مريض في العائلة قبل دعوة الطبيب او غير ذلك من اصول المعارف تفخر القرن العشرين اتساع نطاق العلم بكثرة العلماء المحققين وكثرة تفرعهم وكثرة اختصاصهم وكثرة ارتفاع الناس من مباحثهم حتى صار الناس يعدون كل بحث لا يعود على البشر بالفوائد المادية او الادوية والمنوية عقيماً يجب طرحه جانباً. ومن مفاخر هذا القرن اقبال الحقائق العلمية بطريقة سهلة الى عقول العامة لتساعدهم في حل مشاكلهم وفك معضلاتهم. ولا بد ان نعم هذه الحقائق كل العالم لان المساعي مبذولة في كل قطر لتعرف كل فرد الى مبادئ العلوم لكي يتمكن من فهم آراء العلماء

ان مباحث العالم الطبيعي في نظام النشوء والارتقاء علمت بعض الناس كيفية تحسين نوع حيوانهم ومواسمهم ونسلها فعادت عليهم بارياح طائلة. وان تجارب الميكانيكي والضحايا المتعددة في سبيلها قد اراحت اجلج والبغل والحصان من احوال الناس وقربت المسافات وذلك امواج البحار وقوات الهواء وما نحن نرى بعض العامة يسيرون القطار والايوتوموبيل وانطيارة والباخرة ويصنعون انفونراف والآلات الكهربائية وكثيرون منهم يعرفون دقائقها ويفهمون خصائصها

ان خضوع دقائق المادة لارادة الكيماوي سهلت على العامة استخدام رؤوس امولهم في التراكيب الكيماوية كالسهاد الصناعي والبنزين... الخ اجل ان لا حرية الا في المعرفة الحقيقية فمعرفة خصائص المكروبات حررت العامة من الجدري والحمايات وغيرها من الامراض المعدية. واي حرية الزم من حرية المعرفة الحقيقية او اتفق منها واثبت. وعلى هذه القاعدة مجد عامة القرن العشرين تمتع بحرية كانت قبله ابناء المصور الحالية ان مساعي العلماء اليوم منصرفة الى اقبال الحقائق الاجتماعية الى عقول العامة وهام بدرسون اميال عامة الناس يكتبوا لهم ما يفهمونه عن العمالة والتعامل والمشاركة والتألف والحقوق والواجبات الى آخر ما هنالك من الامور الاجتماعية المعروفة

فما يبذلُهُ علماء السيكولوجيا من دروس نفس الانسان ومعرفة مواطن ضعفه وتوتُّره  
واسباب ميله الى الجرائم والتكررات والمساغبي التي يبذلونها لتحسين احواله واتقان تربيته  
في البيت ابناً وفي المدرسة تلميذاً وفي السجن مجرماً للمعري هو خير احسان الى البشر  
والقوة التي ينفقها علماء التربية لدرس ذوي العاهات العقلية والبدنية وتغهم باعداد  
ما يلائهم من الدروس والصناعات هي افضل حسنة تخفف شقاء نفر من البشر وويلاتهم  
نهى المشتغون عن الفحش والزنى ولكن العلماء نشروا باسطة العبارات كتباً  
يلعون بها الرجل والمرأة كيف يجتمعان ويبشان معاً فيريان نسلًا قليلاً قوياً سليماً  
فينظر الرجل الى المرأة نظره الى شركه في واجب مقدس لا الى صميمه في لذة  
وحشية . ان هذه الكتب هي اكفل وسيط لترقية النسل وتقليل شقاء الفقر وزوال  
الحصومة من العائلة

ان اتصال مثل هذه الحقائق الى العامة ليس بالامر السهل فلا يوصل العلم الصحيح الى  
العامة الا العالم المدقق والباحث النقاد وكلنا يعرف بالاختبار ان اقنع الاماظة واكثرهم  
قائدة لتلاميذهم واقبلهم تفيداً في خطبه وشرح دروسه هو اغزرهم علماً واعرفهم في علمه  
فالعامة التي تتفخر بريقها هذا وتفاخر بحريتها تذكر العالم الذي اوصل لها  
هذه الحقائق سليمة سهلة اتعابه شاكرة ممتة وتخلد له في صفات تاريخها ذكراً حميداً  
دونهُ ذكر ملوكها الفاتحين وعظماها السياسيين وله في تجارتها ولسلها ابلغ اثر  
يُذكرها بانهُ خير المحسن اليها

\*\*\*

هذا هو الرجل الذي ترميه العامة في العالم العربي لانه حررها بالعلم والبرهان  
وباسطة عبارة واسهل يان حرراً من السحر والجهل والخرافات وكتب لها البساط في علم  
الفلك والكيمياء والنشوء والارتقاء وحفظ الصحة والنهاية بالاطفال والاختراعات  
والاكتشافات جامعاً بين اللذة والفائدة

هذا هو احد زعماء الحرية الفكرية بين الناطقين بالضاد. هذا هو الدكتور بقوب  
صروف المحسن الكبير الى ابناء العربية بعلمه ودقته نكيه عالماً مصلحاً وزميه محناً كبيراً  
اذكر ذلك الشيخ الشاب جالساً الى مكتبه وقد قال لي قبل ان انصرف من حضرته .  
«أكتبُ لاعلم العامة كيف يقرأون وماذا يقرأون وكيف ينضمون بما يقرأون»